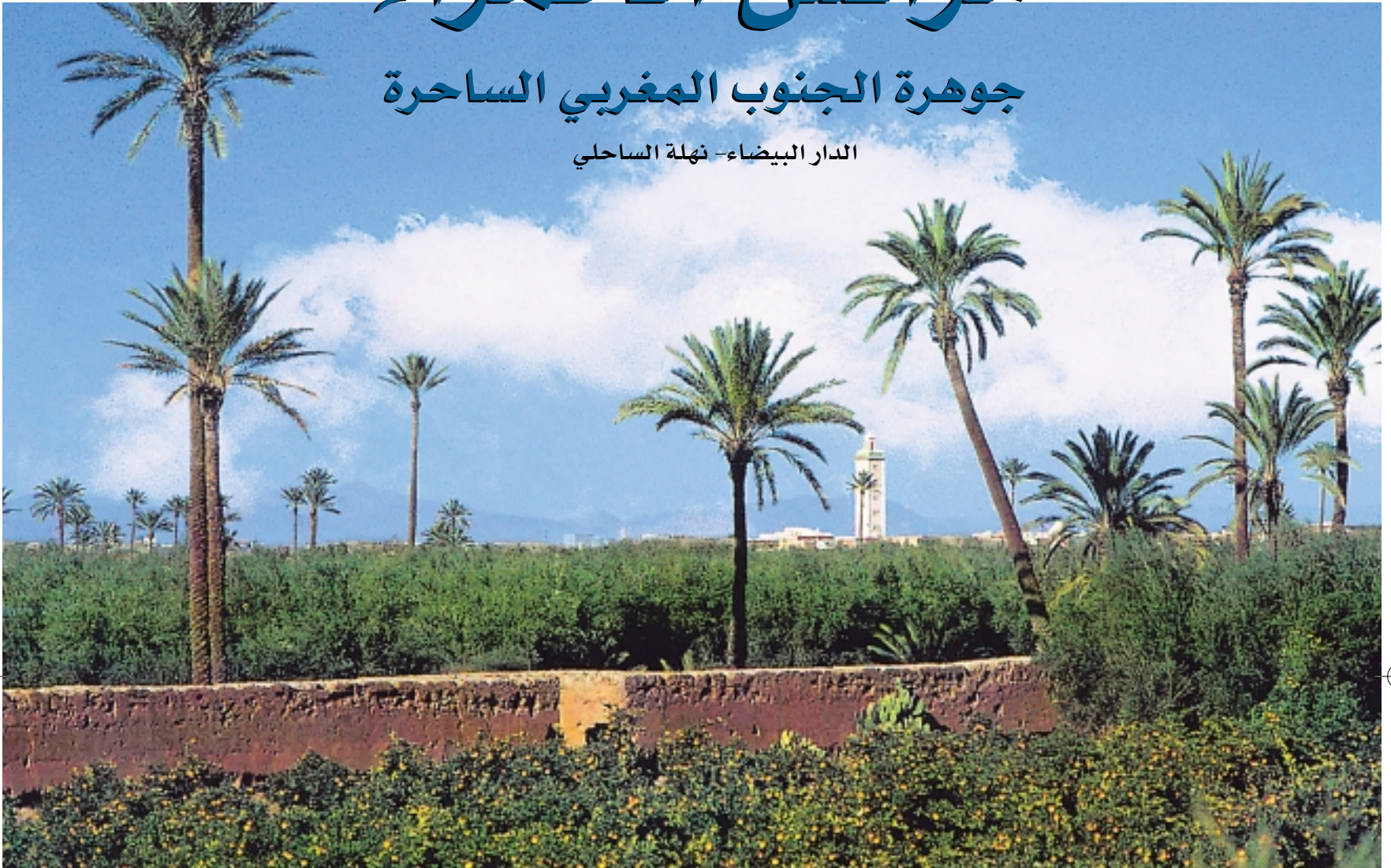


# مراكش الحمراء

## جوهرة الجنوب المغربي الساحرة

الدار البيضاء - نهلة الساحلي



حديقة أكدال  
Akdal Garden

” في أقل من نصف قرن، أصبحت المدينة عاصمة لأكبر مملكة تمتد من الأندلس إلى تخوم السودان ويمتد نفوذها على المغرب العربي ككل، وارتبط مصيرها بمختلف الحضارات التي تعاقبت عليها وكذلك إشعاعها كعاصمة سياسية واقتصادية وثقافية.

تأسست على مفترق طرق القوافل التجارية، والتي اقترن اسمها بتجارة الذهب والعاج، معقل حكمه معيذا بنائها على الطراز الموحد. لكن في القرن التالي عرفت المدينة نكبة سياسية كبيرة على اثر الإطاحة بعرش الموحدين واعتلاء المرينيين الحكم سنة 1269م الذين عمدوا إلى إهمال المدينة لمدة تجاوزت القرنين ونصف القرن وذلك بعد انتقالهم بمركز النفوذ إلى مدينة فاس. ←

أصبحت المدينة عاصمة لأكبر مملكة تمتد من الأندلس إلى تخوم السودان ويمتد نفوذها على المغرب العربي ككل، وارتبط مصيرها بمختلف الحضارات التي تعاقبت عليها وكذلك إشعاعها كعاصمة سياسية واقتصادية وثقافية.

وفي القرن الثاني عشر وبعد تسعة أشهر من الحروب الدامية اعتلى سدة الحكم "عبد المؤمن الموحي" الذي أطاح بحكم المرابطين وجعل من المدينة التي

تعتبر مراكش أكثر المدن المغربية شهرة وأكثرها عراقة وقدماً وتعكس معالمها ومآثرها المتعددة ذلك التاريخ المجيد الذي يميز المدينة ككل. أسسها سنة 1062م "يوسف بن تاشفين" عندما قصدتها المرابطون لأول مرة وكانوا آنذاك رجلاً جاءوا من أقصى الصحراء وكانت هي واحة في وسط "سهل الحوز" الواقع على مشارف الأطلس الكبير وتمتد على حوالي مائة ألف نخلة. وفي أقل من نصف قرن،



قصر الباهية  
El-Bahia Palace

وخلال الاستعمار الفرنسي للبلاد، وتحديدًا في سنة 1913، بدأت مدينة مراكش، تعرف تطوراً ملحوظاً شمل عدة جوانب إذ ظهرت أحياء جديدة ذات طابع معماري مختلف تغلب عليه المباني الشاهقة والفنادق الفخمة لكن هذا لم يفقد المدينة ذلك الطابع العتيق الخاص بها.

وبصفة عامة، أهل هذا التاريخ الحافل المدينة ككل أن تحظى بتباين واختلاف كبيرين مبرها عن سائر المدن المغربية اختلافاً لم يشمل طبيعتها فحسب بل وحتى سكانها وعاداتها وتقاليدها فقد كانت تحتضن مزيجاً من الأجناس خاصة العربية منها والبربرية وخليطاً من الثقافات ولعل هذا التباين أو هذا المزيج الفريد من نوعه هو الذي جعل المدينة ككل تتمتع بسحر لا يقاوم وجعلها تنال لقب "العاصمة السياحية" للمغرب عن جدارة وأصبحت قبلة عدد كبير من السياح من جميع أنحاء العالم، وكانت مراكش ولا تزال من بين المدن القليلة في العالم التي تسحر كل من يدخلها لأول مرة وتترك في أعماق نفسه ذكريات لا تنمحي.

ومراكش هي "جوهر الجنوب" وتبعد عن البحر بحوالي 150 كلم وبما يناهز 200 كلم عن العاصمة الاقتصادية الدار البيضاء، يدخلها الزائر عبر باب <

طلب السلطان "مولاي إسماعيل" من الشيخ "الحسن اليوسي" أن يختار سبعة رجال دين وعلم مسلمين ليعيشوا في كنف ملكه وليرثهم بعد وفاتهم بمدفن المدينة وذلك لأجل إضفاء طابع من القدسية والروحانية على المدينة وهم سيدي القاضي عياض وسيدي السهيلي وسيدي يوسف بن علي وسيدي بالعباس وسيدي ابن سليمان الجزولي، وكذلك سيدي عبد العزيز تبع وسيدي الغزواني ويقال أيضاً، أنه ولقدسية المدفن وبالغ أهميته فإن المدينة قد اكتسبت شهرة واسعة بفضل هذا المكان الذي يعرف كل سنة تنظيم مهرجان ذو طابع ثقافي وديني يقصده العديد من الناس من داخل المغرب وخارجه ويعرف بـ"موسم السبعة رجال".

وبانهيار حكم السعديين عادت مراكش إلى طي النسيان وعرفت الكثير من معالمها التاريخية اندثاراً وعلا الغبار مكتباتها الزاخرة بالمخطوطات النادرة والقيمة. ومع نهاية القرن السابع عشر عادت الأضواء لتسلط على المدينة على اثر تسلم العلويين مقاليد الحكم. وبالرغم من أنهم لم يجعلوا منها عاصمة لهم إلا أنهم أولوها اهتماماً كبيراً وعملوا على أن تحظى دوماً بالرعاية والعتابة.

## قصر البديع

وأعاد السعديون خاصة في عهد السلطان "محمد المهدي" وبالتحديد سنة 1551م مجد مدينة مراكش وذلك على غرار المرابطين وخاصة السلطان "أحمد المنصور" الذي كان له ولع شديد بالمدينة تجلى بالأساس في سعيه جاهداً لإعادتها إلى سالف عهدها وأوجها، حيث جعل منها عاصمة ملكه أمراً بالتفاني في بناء القصور الفخمة أهمها، "قصر البديع" الذي يعد اليوم من أروع القصور المنتشرة في أنحاء المدينة. شيد البديع غداة الانتصار على البرتغاليين أي في نهاية سنة 1578م ويذكر أن بناءه قد دام حوالي 25 سنة أي إلى نهاية سنة 1603م. ويعكس البديع، كما يدل على ذلك اسمه، بجماليته وشموخه مدى تطور الهندسة المعمارية في ذلك الوقت وكذلك دقة وتفاني الحرفيين وخاصة منهم الصانع التقليديين. وهو يحوي بين أرجائه كنوزاً ونفائس لا نظير لها تتمثل بصفة خاصة في تلك اللوحات الضخمة من الفسيفساء.

ولم يقتصر ولع "المنصور" بالمدينة على ذلك، بل أمر بترميم وإعادة بناء عدد كبير من المساجد والمدارس القرآنية وغيرها التي استقطبت العديد من رجال الدين والعلم، ويقال أنه، وتحديدًا خلال القرن السابع عشر.

أشجار الزيتون على مساحة 1200 متر طولاً ونحو 800 متر عرضاً. في الوسط يوجد حوض كبير (150 م x 20 م) أنشأه الموحدون في حدود القرن الثاني عشر. وكانت المنارة في الماضي ملاذاً خاصاً لاستجمام الملوك وراحتهم. وهي اليوم معلمة تزيد مدينة مراكش جمالاً وروعة. فعند الغروب يعرف هذا المكان اكتضاضاً بالناس حيث يأتون من كل فج عميق لرؤية الشمس وهي تغادر المدينة متسللة ومحاوله الاختفاء في أحضان الحوض المليء بالأسماك وهي تداعب المياه بكل هدوء ورقة.

وفي سنة 1919م حل بها الرسام الفرنسي الشهير ←

المتفرجين. وغير بعيد هواة يلعبون الثعابين والقردة وترى رجالاً يرقصون متنكرين في أزياء الراقصات. وتزكي أنفك روائح التوابل المعروضة للبيع التي تمتزج بدورها بروائح تلك المأكولات المنبعثة من المطاعم المتواجدة تحت خيام تصطف الواحدة تلو الأخرى مكونة سلسلة من المطاعم الشعبية التي تقدم أشهر الأطباق المغربية. ولا تخلو الساحة من العزّافين وقارئي الكف الذين يكاد أن يكونوا جزءاً لا يتجزأ من الساحة والذين يعرضون على المارة خدماتهم المتعددة والمتنوعة والتي لا تخلو من الغرابة والطرافة. وساحة جامع الفنا أصبحت اليوم محط اهتمام الأدباء والباحثين الاجتماعيين والمخرجين السينمائيين والرسامين من داخل المغرب و من خارجه، خاصة منهم الأوروبيين.

### مسجد سيدي بن يوسف

ويمتد شمال المدينة "مسجد بن يوسف" الذي يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثاني عشر. ويتميز بصومعته التي يفوق ارتفاعها 40 متراً والذي يغطي القرميد الأخضر جميع أنحاء سقف فناءه الرحب. وفي الجوار توجد "مدرسة بن يوسف" إحدى أهم المدارس القرآنية بالمغرب. وفي اتجاه الجنوب، "الأضرحة السعديين" التي لا يجب أن يستثنىها من يزور مدينة مراكش. فانتظماً من "مسجد القصبية". وعبر أحد الأزقة الضيقة يمكن الوصول إليها وقد تم اكتشافها لأول مرة خلال سنة 1917م لأن السلطان العلوي مولاي إسماعيل كان قد أمر ببناء سور كبير لحمايتها فتوارت عن الأنظار لعدة سنوات. وقد بناها السلطان السعدي مولاي أحمد المنصور 1574-1603م على اثر وفاة والدته "للا مسعودة" سنة 1591 وكانت قبل ذلك وتحديداً سنة 1351م مثنوى السلطان المريني "أبو الحسن" والأمير السعدي "محمد الشيخ" من بعده. وتمتد الأضرحة داخل أروقة أبوابها ضخمة مصنوعة من خشب الأرز المنقوش والمزخرف. وهي تفتح بدورها على حديقة شاسعة إضافة إلى قاعة للصلاة ومحراب. وكل رواق منتصب على عدد من الأعمدة الرخامية شرقاً. تمتد "المنارة". وهي عبارة عن مجموعة حدائق

"أكناو" المفتوح على مصراعيه منتصباً في شموخ. وهو باب تاريخي شيد في عهد الموحدين على مشارف المدينة لحمايتها من قطاع طرق القوافل والطامعين آنذاك.

### صومعة الكتبية

وتمتد مدينة "مراكش الحمراء" في سحر تحت شمس ساطعة وسط أسوار عالية يتغير لونها ما بين الأصفر الداكن والأحمر. وبين أحضان هذه الأسوار تلوح في الأفق وتنتصب في شموخ في وسط المدينة صومعة "الكتبية" نموذجاً حياً للفن المعماري الإسباني الموريسكي الذي اشتهر به العهد الموحي. صومعة الكتبية تلك المعلمة الفنية التي بناها "عبد المؤمن" وأتم بناءها "يعقوب المنصور" في ما بين 1184-1189م والتي يبلغ ارتفاعها نحو 77 متراً وهي فريدة من نوعها ليس فقط من الناحية المعمارية بل وحتى الجمالية ويؤكد المعماريون. أنها كانت النموذج الأصيل لصومعة "حسان" ذلك الصرح الذي تم تشييده فيما بعد بمدينة الرباط سنة 1195م. وتزين اللوحات قاعات "مسجد الكتبية" الست المنفتحة على بعضها البعض ويدور حول الصومعة فناء رحب قائم على عدد من الأعمدة يبلغ طول الواحدة منها مترين. وعلى بعد أمتار، توجد ساحة "جامع الفنا" ذلك المجال الواسع الذي بات اليوم أكثر من ذي قبل من بين الأبنية التي تميّز المدينة وتضفي عليها حيوية وديناميكية لا مثيل لها. والساحة تشبه إلى حد كبير خشبة مسرح تمتد على حوالى (150 متر X 100 متر) ما بين الكتبية والمدينة هي ملتقى يخيل إليك أنه يجمع كل سكان المدينة بل كل سكان العالم ومراة تعكس الماضي والحاضر ولوحة يتناسق فيها السمعي والبصري. والمثير للانتباه أن هذا المسرح الرحب والمتنوع العروض المليء بالحركة والصخب لا يحتاج تذكرة للدخول فهو مفتوح على مصراعيه طيلة أيام الأسبوع ليلاً ونهاراً. وتمتد فيه الألوان وكذلك أصوات الباعة المنتشرين هنا وهناك بأنغام مختلف الآلات الموسيقية التي تداعبها أنامل موسيقيين تحيط بهم جموع غفيرة من



قصر الباهية  
The Bahia Palace



المنارة  
The Menara



Aknou Gate

باب أكتاؤ

جانب من ساحة جامع الفنا  
Jamaa el-Fana squareقصر البديع  
Palace El-Badia

وسقفها منحوت من خشب أشجار الأرز. ويقال أن بناء وتزيين هذه القاعات الضخمة قد تطلب نحو ثلاث سنوات وأزيد من ثلاثة آلاف عامل وحرفي.

وغير بعيد تمتد الطريق التي تؤدي إلى القرى المنتشرة على الجبال المحيطة بالمدينة والتي تأخذ الزائر لاكتشاف وجه آخر من الوجوه المتعددة للمدينة فعلى بعد كيلومترات شمال ورزازات تأتي منطقة "أيت بنحدو" والتي صنفتها منظمة اليونسكو إرثاً عالمياً ودعت إلى حمايته وإعادة ترميمه.

وتنوالى القصبات على جنبات الطريق حيث يكتشف الزائر وهو يغادر المدينة "تاويرت" المحطة الأخيرة التي تبدو من بعيد مشرفة على المدينة بآبراجها المتعددة والتي كانت فيما مضى الإقامة الخاصة بإشاشا مراكش. ودائماً نحو الجنوب والزائر يودع المدينة. تطل الطريق المؤدية إلى "زاكورة" التي تحاذي تلك المنعطفات والمنعرجات التي يسلكها وادي درعة وسط طبيعة خلابة وواحات كثيفة وشلالات رائعة وصخور منحوتة وقرى صغيرة منتشرة هنا وهناك على ضفاف الوادي لتلوح لك الصحراء برمالها الذهبية من بعيد. ■

البربري والعربي الإسلامي وقاعة أخرى بها نماذج متعددة من الملابس القديمة والأواني الفخارية والنحاسية وبعض من قطع الأثاث أضف إلى ذلك آلات موسيقية قديمة وأسلحة.

ويقف "الباب الأحمر" تحديداً في الناحية الجنوبية الشرقية للمدينة والذي يلج الزائر عبره ساحة المشوار التي تحتضن "دار المخزن" و"القصر الملكي" المشيدين في القرن الثاني عشر. وكذلك إحدى أجمل الحداثق والتي يطلق عليها اسم "أكدال". وفي أقصى جنوب المدينة. وعلى مشارف الطريق الذي كان مسلك الفوافل المؤدية إلى "ورزازات" التي ترتقي عند أقدام "الأطلس الكبير". وعلى ارتفاع حوالي 2260 متراً. تنتصب "تيزي تيشكة" المدخل الرئيسي للمنطقة البربرية وخاصة منها "كلاوة" و"تالوت" آخر معقل لأخر أمير بربري الحاج "التهامي الكلاوي". وبالرغم من أنها كانت ولعدة سنوات قيد النسيان وتحديداً إلى حوالي 1956م فإنها لا تزال تخفي وراء أسوارها قاعتين من أروع قاعات القصور القديمة. فجدرانها عالية ومغطاة بلوحات رائعة من الفسيفساء المتعددة الألوان.

"جك ماجورال" ففتن بكل ما فيها وقرر سنة 1924م أن يقتني قطعة أرض لم يكن يعلم قط أنها ستكون فيما بعد من أجمل وأروع الحداثق العمومية المتواجدة بالمدينة. ولكن على اثر وفاته سنة 1962م أهملت الحديقة. وبدأت شيئاً فشيئاً تفقد رونقها إلا أن ذلك لم يدم طويلاً لأن المصمم الفرنسي "إيف سان لوران" أعاد للحديقة سالف مجدها. فبعد شرائها. أقام في أحد أرجائها رواقاً بات اليوم متحفاً للفنون الإسلامية تعرض فيه مجموعة نادرة من الزرابي والتماثيل والتحف القديمة التي تعكس الحضارات المتعاقبة على البلاد. وفي الواقع تعد هذه الحديقة مكاناً نادراً حيث تضم بين أرجائها عدداً كبيراً من الأشجار والنباتات المختلفة والفريدة وقد تم جمعها من جميع أنحاء العالم جعلت من جاك ماجورال في ذلك العهد رائداً ذا شهرة واسعة في مجال جمع النباتات. إضافة إلى ذلك. تحوي الحديقة عدداً كبيراً من الطيور الجميلة والنادرة تضي بزقفتها على المكان سحرراً لا يقاوم.

### دار سي سعيد

هذا. وبتبعي أن لا ينسى من يزور مدينة مراكش أن يقصد "دار سي سعيد" التي تبعد عن قصر الباهية ببضع كيلومترات والتي تحتضن المتحف الأثنوغرافي. بناها "مولاي عبد العزيز" وأتم بناءها أخوه "سي سعيد" المنسوبة إليه وقد أعيد ترميمها خلال سنة 1978م. وتعد دار سي سعيد من بين أجمل القصور بالمدينة وقد أصبحت متحفاً منذ سنة 1932م. بها عدد كبير من القاعات تعرض فيها مجموعة من الأسلحة القديمة النادرة والزرابي والتحف التي تروي تاريخ المدينة العريق.

ويجد الزائر عند المدخل خارطة مفصلة لجميع قاعات القصر ومخابئه. وعبر مسلك طويل يمكن الوصول إلى أبواب القصبية المزدانة بلوحات جميلة متكونة من أشكال هندسية متعددة. أضف إلى ذلك قاعة تحوي عدد كبير من المجوهرات القديمة تعود إلى العهدين